

(٤٠)

باب قول الله تعالى: ﴿يَعْرِفُونَ نِعْمَتَ اللَّهِ ثُمَّ يُنْكِرُونَهَا وَأَكْثَرُهُمُ الْكَافِرُونَ﴾

قال المصنف رحمه الله تعالى: (باب قول الله تعالى: ﴿يَعْرِفُونَ نِعْمَتَ اللَّهِ ثُمَّ يُنْكِرُونَهَا﴾ [النحل ٨٣])

[٨٣:]

قال مجاهد - ما معناه - : هو قول الرجل : هذا مالي ، ورثته عن أبيائي . وقال عون بن عبد الله ^(١) : يقولون : لولا فلان لم يكن كذا . وقال ابن قتيبة : يقولون : هذا بشفاعه آلهتنا .

ثم : ذكر المصنف رحمه الله ما ذكر بعض العلماء في معناها .

وقال ابن جرير : فإن أهل التأويل اختلفوا في المعنى بالنعمة . فذكر عن سفيان عن السدي : ﴿يَعْرِفُونَ نِعْمَتَ اللَّهِ ثُمَّ يُنْكِرُونَهَا﴾ [النحل ٨٣] قال : محمد ﷺ . وقال آخرون : بل معنى ذلك : أنهم يعرفون أن ما عده الله تعالى ذكره في هذه السورة من النعم من عند الله ، وأن الله هو المنعم عليهم بذلك ، ولكنهم ينكرون ذلك ، فيزعمون أنهم ورثوه عن آبائهم . وأخرج عن مجاهد : ﴿يَعْرِفُونَ نِعْمَتَ اللَّهِ ثُمَّ يُنْكِرُونَهَا﴾ [النحل ٨٣] ، قال : هي المساكن والأنعام وما يُرزقون منها والسرابيل من الحديد والثياب ، تعرف هذا كفار قريش ثم تنكره ، بأن تقول : هذا كان لأبائنا فورثنا إياه وقال آخرون : معنى ذلك أن الكفار إذا قيل لهم : من رزقكم؟ أقروا بأن الله هو الذي رزقهم ثم ينكرونه بقولهم : رزقنا ذلك : شفاعه آلهتنا .

وذكر المصنف مثل هذا عن ابن قتيبة : وهو أبو محمد ، عبد الله بن مسلم بن قتيبة الدينوري قاضي مصر النحوي اللغوي ، صاحب المصنفات البديعة المفيدة المحتوية على علوم جمّة ، اشتغل ببغداد وسمع الحديث على إسحاق بن راهويه وطبقته . توفي سنة ست وسبعين ومائتين .

وقال آخرون : ما ذكره المصنف ، عن عون بن عبد الله بن عتبة بن مسعود الهذلي - أبو عبد الله الكوفي الزاهد [روى] : عن أبيه وعائشة وابن عباس وعنه قتادة وأبو الزبير والزهري ، وثقه أحمد وابن معين قال البخاري : مات بعد العشرين ومائة ﴿يَعْرِفُونَ نِعْمَتَ اللَّهِ ثُمَّ يُنْكِرُونَهَا﴾ [النحل ٨٣] قال : إنكارهم إياها : أن يقول الرجل : لولا فلان ما كان كذا وكذا ، ولولا فلان ما أصبت كذا وكذا .

(١) هو : عون بن عبد الله بن عتبة بن مسعود الهذلي ، أبو عبد الله الكوفي الزاهد الفقيه ، راوية للحديث ، ثقة من الطبقة الرابعة ، سمع أبا هريرة وابن عمرو ، وغيرهما . توفي قبل سنة (١٢٠هـ) .

واختار ابن جرير القول الأول، واختار غيره أن الآية تعم ما ذكره العلماء في معناها . وهو الصواب والله أعلم .

قوله : (قال مجاهد) هو شيخ التفسير : الإمام الرباني ، مجاهد بن جبر المكي مولى بني مخزوم . قال الفضل بن ميمون : سمعت مجاهدًا يقول : عرضت القرآن على ابن عباس ثلاث مرات ، أقفه عند كل آية وأسأله : فيمَ نزلت؟ وكيف نزلت؟ وكيف معناها؟ توفي سنة اثنتين ومائة . وله ثلاث وثمانون سنة رحمه الله .

قال المصنف رحمه الله تعالى: (وقال أبو العباس) - بعد حديث زيد بن خالد الذي فيه : أن الله تعالى قال : «أصبح من عبادي مؤمن بي وكافر» الحديث ^(١) - وقد تقدم ، وهذا كثير في الكتاب والسنة ، يذم سبحانه من يضيف إنعامه إلى غيره ويشرك به .

قال بعض السلف هو كقولهم : كانت الريح طيبة ، والملاح حاذقًا . ونحو ذلك مما هو جارٍ على ألسنة كثير) .

لثقل: قوله : (وقال أبو العباس) : هو شيخ الإسلام ، أحمد بن عبد الحليم بن عبد السلام ابن تيمية ، الإمام الجليل .

(بعد حديث زيد بن خالد) . قد تقدم في باب ما جاء في الاستسقاء بالأنواء .

قال : (وهذا كثير في الكتاب والسنة ، يذم سبحانه من يضيف إنعامه إلى غيره ويشرك به .

قال بعض السلف : هو كقولهم : كانت الريح طيبة ، والملاح ^(٢) حاذقًا . ونحو ذلك مما هو جارٍ على ألسنة كثير . انتهى .

وكلام شيخ الإسلام يدل على أن حكم هذه الآية عام فيمن نسب النعم إلى غير الله الذي أنعم بها ، وأسند أسبابها إلى غيره ، كما هو مذكور في كلام المفسرين المذكور بعضه هنا .

قال شيخنا رحمه الله : وفيه اجتماع الضدين في القلب ، وتسمية هذا الكلام إنكارًا للنعمة .

(١) أخرجه البخاري ، كتاب : الأذان ، باب : يستقبل الإمام الناس إذا سلم ، حديث (٨٤٦) ، ومسلم ، كتاب : الإيمان ، باب : بيان كفر من قال مطرنا بالنوء ، حديث (٧١) .

(٢) الملاح : الذي يقود السفينة أو يعمل عليها . والحاذق : الماهر .